

الميليشيات الفلسطينية المقاتلة ضد الثورة السورية

د. سامر عبد الهادي علي / تقدير موقف

المركز السوري للعلاقات الدولية والدراسات الاستراتيجية

بالتزامن مع المعارك التي تجري في حلب وريفها، ومحاولات النظام السوري والميليشيات المتعددة الداعمة له السيطرة عليها، تبرز قضية هذه الميليشيات التي تشارك النظام السوري في المعارك، بل إنها تشكل القوة الأساسية في هذه المنطقة، وتتألف من العديد من الميليشيات الشيعية اللبنانية والعراقية والأفغانية والإيرانية وغيرها، إلا أن هناك ميليشيات أخرى غير شيعية تشارك وبفاعلية في المعارك ضد الثوار السوريين، أهم هذه الميليشيات هي الميليشيات الفلسطينية المتعددة، التي لا يتم الحديث عنها كثيراً في خضم المعارك الجارية في حلب تحديداً، وفي بقية المناطق السورية الأخرى، لذلك لا بدّ من إلقاء نظرة على هذه الميليشيات، ومحاولة التعرّف على أهمها لاتخاذ موقف حالي ومستقبلي من وجود هذه الميليشيات الفلسطينية على الأرض السورية، خاصةً مع الحديث عن حلول سياسية للملف السوري في الأروقة الدولية.

الوجود الفلسطيني في سورية تاريخياً وجغرافياً:

بدأ التواجد الفلسطيني في سورية منذ عام 1948م، نتيجة النكبة التي حلّت في فلسطين، وإعلان الكيان الصهيوني قيام دولته المزعومة "إسرائيل"، وما أدّى إليه ذلك من حركات تهجير كبيرة للشعب الفلسطيني، ويشكّل هؤلاء الكتلة الأكبر من اللاجئين الفلسطينيين في سورية حيث قُدّر عددهم بنحو 90/ الفاً، تشرف على شؤونهم مؤسسة حكومية تم تشكيلها بمرسوم جمهوري عام 1949 غايتها تنظيم شؤون اللاجئين الفلسطينيين ومعونتهم وتأمين مختلف حاجاتهم وإيجاد الأعمال المناسبة لهم، ثم صدر القانون 60 لعام 1956 الذي ساوى بين الفلسطيني والسوري في جميع المجالات الوظيفية والمهنية والعلمية باستثناء أمور تخصّ الانتخابات والترشيح لعضوية مجلس الشعب مع الاحتفاظ بالجنسية الفلسطينية.

تلا هذه الموجة من المهاجرين الفلسطينيين موجة ثانية عام 1956م، قادمون من التجمعات الفلسطينية التي لجأت إلى الأراضي اللبنانية، تم تسجيلهم كذلك على قيود مؤسسة اللاجئين وعلى قيود الأوتروا، وينطبق عليهم ما ينطبق على المنتسبين إلى الفئة الأولى. ثم جاءت الموجة الثالثة بعد عدوان حزيران 1967 حيث دخل الفلسطينيون الذين كانوا يقيمون على الحدود السورية الفلسطينية، وتحديداً على شاطئ بحيرة طبرية إلى مناطق دمشق ودرعا. ووفدت إلى سورية دفعات جديدة من الفلسطينيين بعد عامي 1970 و1971 مع تمركز فصائل المقاومة الفلسطينية فوق الأراضي اللبنانية والسورية، وهؤلاء لم يتم تسجيلهم في سجلات اللاجئين الى سورية،

وهم أكثر فئة تعقيداً كونهم لا يملكون أوراقاً ثبوتية لذلك فقدوا الكثير من حقوقهم الممنوحة لغيرهم من الفئات السابقة.

وقد بلغ إجمالي عدد اللاجئين الفلسطينيين في سورية أكثر من نصف مليون نسمة، تستأثر محافظة دمشق وريفها بـ 67% من مجموع اللاجئين الفلسطينيين، يقطنون أغلبهم في مخيم اليرموك الذي لا تعترف به الأونروا بالرغم من أنه أكبر المخيمات، أما باقي المحافظات يتوزعون على النحو التالي: درعا 8%، حلب 8%، حمص 5%، حماة 2%، اللاذقية 2%، و 8% مسجلين في سجلات القنيطرة.

يتوزع الفلسطينيون اليوم على نحو 13/ مخيماً بعضها رسمي والآخر غير رسمي، وأهم هذه المخيمات:

- مخيم اليرموك (دمشق): أنشئ عام 1957، يعد أكبر تجمع للفلسطينيين في سورية، ويقدر عدد سكانه بنحو 360/ ألف نسمة، ويوجد في المخيم 4 مستشفيات، وأكبر عدد من المدارس التابعة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا).

- مخيم جرمانا (دمشق): عدد سكانه نحو 5/ آلاف نسمة.

- مخيم سبينة (دمشق): يقدر عدد سكانه بأكثر من 19/ ألف نسمة.

- مخيم قير الست (دمشق): يقع قرب حي السيدة زينب، ويضم نحو 16/ ألف نسمة.

- مخيم خان الشيوخ (دمشق): يقع على بعد 27/ كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من دمشق، ويضم أكثر من 15500/ نسمة.

- مخيم خان دنون (دمشق): يقع على بعد 23/ كيلومتراً جنوبي دمشق، ويضم نحو 8600/ نسمة.

- مخيم درعا الطوارئ: يضم نحو 5600/ نسمة.

- مخيم درعا: يضم كذلك نحو 5600/ نسمة.

- مخيم النيرب بحلب: ويقدر عدد سكانه بحوالي 17500/ نسمة.

- مخيم عين التل (حندرات) بحلب: يقع على بعد 13/ كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من حلب، ويقدر عدد سكانه بنحو 14/ ألف نسمة.

- مخيم الرمل في مدينة اللاذقية: يضم نحو 6500/ نسمة.

- مخيم حماة: عدد سكانه نحو 8/ آلاف نسمة.

- مخيم العائدون (حمص): ويبلغ عدد سكانه نحو 14/ ألف نسمة.

ويشكل الفلسطينيون جزءاً مهماً من نسيج المجتمع السوري منذ وجودهم في سورية وحتى اليوم.

الميليشيات الفلسطينية المؤيدة للنظام السوري:

- ميليشيات قاتلت عسكرياً:

انقسم الفلسطينيون في سورية منذ انطلاقة الثورة السورية عام 2011م إلى قسمين، الأول مؤيد للثورة السورية ومطالب الشعب السوري الحر في الحرية والكرامة، وفي مقدمتهم حركة حماس، والعديد من الفصائل والقوى والأحزاب والشخصيات الفلسطينية، والقسم الثاني وقف إلى جانب النظام السوري في قتله وإجرامه وتدميره، محارباً الثوار السوريين في مناطق تواجدهم في المخيمات الفلسطينية في البداية، ثم انتقلوا بعد تشكيلهم لعدد من الميليشيات الفلسطينية إلى العديد من مناطق سورية الثائرة، يقاتلون ويقتلون أبناء الشعب السوري الذين أووهم منذ أربعينيات القرن الماضي.

وهنا يمكن أن نستعرض أهم الميليشيات الفلسطينية المقاتلة للثوار السوريين منذ بداية الثورة وحتى هذا اليوم، وهي:

- لواء القدس:



يعد لواء القدس الفلسطيني أكبر الميليشيات الفلسطينية التي تقاتل إلى جانب قوات النظام السوري، وخاصةً شمال حلب، وقد شكل هذا اللواء الفلسطيني المهندس محمد سعيد بعد اندلاع الثورة السورية بوقت قصير، ويتكون اللواء من أبناء مخيم النيرب للاجئين الفلسطينيين شرق حلب، ومخيم حندرات للاجئين الفلسطينيين شمال حلب، وقد بلغ عدد قواته نحو /2000/ مقاتل، يتقاضون رواتب تصل إلى نحو /40/ ألف ليرة سورية في الشهر. معظم هؤلاء مقاتلون

سابقون مدربون في صفوف حركة فتح الانتفاضة وحركة الجبهة الشعبية القيادة العامة المواليتين للنظام السوري أيضاً.

تنتشر قوات "لواء القدس" الفلسطيني على جبهات القتال الساخنة شمال حلب، خصوصاً في بلدي سيفيات وباشكوي. كما تشكل قواته القوى الضاربة لقوات النظام السوري على جبهة فرع الاستخبارات الجوية وحي جمعية الزهراء غرب حلب.

عمدت قيادة اللواء في الفترة الأخيرة إلى تقوية نفوذ اللواء وزيادة عدد عناصره عن طريق إغراء عناصر قوات الدفاع الوطني (الشبيحة)، للانضمام إلى صفوف اللواء عن طريق إغرائهم برواتب مرتفعة نسبياً قياساً برواتب "الدفاع الوطني".

- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة:



تنظيم فلسطيني قومي يساري أسسه أحمد جبريل عام 1958 وأعلن عنه عسكرياً عام 1965، وفي 24 نيسان 1968 انشق جبريل عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وشكّل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة، واتخذ من العاصمة السورية دمشق مقراً لقيادته، ولها جريدة رسمية تصدر عنها باسم "إلى الامام".

تعد الجبهة حليفاً قوياً للنظام السوري، ولها نفوذ قوي داخل

المخيمات الفلسطينية، وخاصةً مخيم اليرموك في سورية، ومخيم برج البراجنة في لبنان. لذلك وقفت إلى جانب النظام السوري منذ بداية الثورة السورية، وحدث أول صدام مباشر بين الجبهة والجيش الحر في كانون الأول 2012 حينما أعلن الجيش السوري الحر سيطرته على مخيم اليرموك بعد اشتباكات عنيفة مع عناصر الجبهة. تنتشر عناصر الجبهة في مخيم اليرموك ومنطقة عدرا البلد، ويحاولون جاهداً اليوم السيطرة على مخيم اليرموك حيث يفرضون عليه بالتعاون مع قوات النظام حصاراً خانقاً منذ عام 2012.

- جيش التحرير الفلسطيني:



يمثل جيش التحرير الفلسطيني نظرياً الذراع العسكري لمنظمة التحرير الفلسطينية، إلا أنّ قواته عملياً تأتمر من طرف الحكومات المضيفة لها. تم إعلان تشكيل هذا الجيش رسمياً في الأول من تشرين الأول 1964 بقوام ثلاثة ألوية عسكرية مشاة وصاعقة في كل من: مصر وقطاع غزة (قوات عين جالوت)، وفي سورية (قوات حطين)، وفي العراق، وبقي المقر العام للجيش في القاهرة حتى عام 1971، لينتقل بعدها إلى سورية حيث

يتواجد في سورية حالياً ضمن ثلاثة ألوية مشاة وصاعقة (قوات حطين، قوات القادسية، قوات أجنادين)، وكتائب إسناد من مدفعية ودبابات ومهام خاصة، إضافة إلى كتيبة مصعب بن عمير التي تم فرزها إلى المخيمات الفلسطينية في لبنان أوائل السبعينيات من القرن الماضي، يقود الجيش اللواء محمد طارق الخضراء البالغ

تعداده في سورية نحو /60/ ألفاً، وتدين هذه القوات اليوم بالولاء إلى حزب البعث - تنظيم فلسطين، وهو الجناح السياسي لمنظمة الصاعقة الفلسطينية، ويخضع اللاجئون الفلسطينيون في سورية وحدهم من بين كل الفلسطينيين في الشتات للتجنيد العام في صفوف جيش التحرير الفلسطيني.

بعد اندلاع الثورة السورية حاول ضباط جيش التحرير وعناصر عدم الانخراط في القتال الدائر بين النظام السوري والثوار، إلا أن ضغوط النظام بسبب حاجته الماسة للعناصر المدربة، دفعت "جيش التحرير" الفلسطيني الموجود في سورية للانخراط تدريجياً في الصراع الدائر، بتشجيع من قيادته الموالية للنظام حيث تعادل قوات "جيش التحرير" في سورية فرقة عسكرية، هذا الأمر دفع عدداً من ضباط الجيش إلى الانشقاق عنه وشكلوا "جيش التحرير الفلسطيني الحر". فيما قُتل آخرون بيد قوات النظام بسبب رفضهم المشاركة في الأعمال القتالية، كما تم اغتيال العديد منهم في ظروف غامضة، ويُعتقد أن ذلك تم على يد جهات موالية للنظام، أبرزهم العميد الركن رضا الخضرا قائد قوات حطين، والعقيد عبد الناصر المقاري وهو قائد كتيبة في "جيش التحرير"، بالمقابل شاركت وحدات أخرى من الجيش في بعض معارك النظام السوري في ريف دمشق ودرعا، وتم توثيق مقتل /156/ عنصراً من الجيش على يد الثوار، فيما يقدر المعارضون الفلسطينيون العدد بنحو /300/ عنصر.

- قوات الصاعقة - الجناح العسكري لحزب البعث الفلسطيني:



الاسم الرسمي لها هو "طلائع حرب التحرير الشعبية - قوات الصاعقة"، وهي منظمة فلسطينية قومية موالية لحزب البعث السوري. تأسست في 1966/12/10، وبتاريخ 1967/4/15 وجه تعميم من شعبة فلسطين لحزب البعث يدعو لالتحاق البعثيين الفلسطينيين بدورة تدريبية لتشكيل منظمة فدائية بدءاً من صباح 1967/5/1 تسمى منظمة الطلائع وشعارها «الجمجمة». وأصبحت المنظمة تحمل اسم «طلائع حرب التحرير الشعبية» الذي أطلقه عليها الوزير السوري عضو القيادة القطرية للحزب مروان حبش، بينما أسماها صلاح

خلف (أبو إياد) «منظمة الصاعقة». يتزعمها حالياً (فرحان أبو الهيجا)، وقد شاركت قوات الصاعقة في المعارك الجارية على الأرض السورية إلى جانب قوات النظام، كونها تحمل عقيدة البعث، وتحولت هذه القوات إلى مجرد ميليشيات تحت سيطرة أجهزة القمع السورية.

وليس أدل على ذلك ما فأفادت به ميليشيا قوات الصاعقة الفلسطينية في مخيم السيدة زينب بأن كلاً من (علي مصطفى) عضو القيادة القطرية لحزب البعث مدير عام مؤسسة اللاجئين الفلسطينيين العرب، ووفد مكتب

(علي خامنئي) ممثلاً بـ "الشيخ الناصري" و"الحاج اطمئنانى" شاركوا في تقديم العزاء لقتلى مخيم السيدة زينب، وحضروا مراسم التشييع والدفن، ونقل "الناصرى" تعازي "آية الله العظمى أبو الفضل الطباطبائي" بالقتلى، بحسب إعلام ميليشيا قوات الصاعقة.

- جبهة النضال الشعبي الفلسطيني:

منظمة فلسطينية تأسست عام 1967م حيث كانت تتبع منظمة التحرير الفلسطينية حينها، وفي عام 1971م أصبحت تتبع لحركة فتح، ثم عادت لتستقل عنها عام 1974م، وشهدت عام 1992 عدة خلافات بين قيادتها أدت إلى حصول انشقاق وانقسام الجبهة إلى تنظيمين الأول بقيادة الدكتور سمير غوشة الوزير السابق و عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، والثاني بقيادة أمينه العام خالد عبد المجيد، المقيم في دمشق. وحالياً يقود الجبهة الامين العام (د. أحمد مجدلاوي)، وممثل الجبهة في

سورية (قاسم معنوق) الذي يشارك كذلك إلى جانب قوات النظام السوري في حربه ضدّ الشعب، وقد نعت الجبهة العديد من قتلاها في مواجهات مع الثوار، أو من خلال عمليات تفجير طالت مراكز هذه الميليشيات، منها تفجير استهداف ميليشيات النظام والميليشيات الموالية له في منطقة السيدة زينب بدمشق وأدى إلى مقتل عدد من عناصر ميليشيات هذه الجبهة منهم النقيب "محمود حسن تيم"، والملازم "محمد عبد الغفار أبو الهيجاء".

- قوات الجليل - حركة شباب العودة الفلسطينية:

تنظيم فلسطيني حديث التأسيس، حيث تأسس في 15 أيار 2011، كجناح عسكري لما يُسمى "حركة شباب العودة الفلسطينية"، ويقوده (فادي ملاح) من مهجري مخيم خان دنون بريف دمشق، وقد تأسس خصيصاً لمحاربة الثورة السورية، أي أنّ ليس له تاريخ سابق من العمل السياسي أو العسكري.

تعمل قيادته على استقطاب شباب مخيم خان دنون خاصة، والمخيمات الواقعة تحت سيطرة النظام عامة وضمن حملة أسموها

(حملة الوفاء بالوفاء) من خلال إغرائهم بمبالغ مالية كبيرة وتلبية كافة متطلباتهم، وذلك لتطويعهم في جناحها



العسكري المسمى (قوات الجليل) للمقاتلة إلى جانب قوات جيش النظام. هذا وقد شاركت هذه القوات في عدة معارك مع النظام السوري كان أبرزها معركة تلّة موسى والتلاجة في القلمون، واقتحام تلتي البلوكوسات والخاصة، وكذلك في معارك اللاذقية. إلا أنّ أهم ما يميز هذه الميليشيات هو تجاوزها في القتال للمناطق التي يتواجد فيها الفلسطينيون إلى مناطق بعيدة، حيث وصلت إلى دير الزور والرقّة لتقاتل إلى جانب قوات الأسد هناك، وأعلنت ميليشيا قوات الجليل عن افتتاح أول مقر عسكري لها في حي القصور بدير الزور بجوار مقرات "حزب الله" اللبناني، وذلك في شهر نيسان عام 2015 بقيادة العقيد "أبو علي بدران" نائب القائد العسكري للميليشيا "قادي الملاح".

- حركة فلسطين حرة:



تأسست حركة فلسطين حرة في 14 تموز 2008م برئاسة (ياسر قشلق) المولود في دمشق، وهي حركة جديدة كذلك في العمل السياسي والعسكري، ويعدّ رئيسها قشلق من مؤيدي وداعمي النظام السوري، لذلك شاركت عناصر هذه الحركة إلى جانب قوات النظام ضدّ الثورة السورية، حيث يتزعم عناصرها عسكرياً (سائد عبد العال)، وقد خسرت الحركة كذلك عدداً من عناصرها في مواجهة الثوار السوريين.

- فتح الانتفاضة - حركة التحرير الوطني الفلسطيني:



تنظيم فلسطيني تأسس عام 1983 بقيادة نائب قائد قوات العاصفة "أبو صالح"، والعقيد أبو موسى وأبو خالد العملة، وأبو فاخر عدلي الخطيب إثر انشقاقهم عن حركة فتح بتأييد ودعم من نظام حافظ الأسد، وقد أدى هذا الانشقاق إلى نشوب عدة معارك في البقاع وطرابلس بلبنان ضد الموالين لياسر عرفات، ثم انتقل الصراع في ما بعد إلى المخيمات حيث شاركت فتح الانتفاضة، حركة أمل، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة ومنظمة الصاعقة في ما سمي بحرب المخيمات بين

عامي 1985 - 1988. بعد وفاة العقيد أبو موسى أمين سر الحركة، اجتمع المجلس الثوري للحركة، وتم انتخاب أبو حازم أميناً للسر.

شاركت فتح الانتفاضة كذلك إلى جانب قوات النظام السوري في قتال الثورة السورية، ولعبت دوراً محورياً في العديد من المعارك منذ منتصف عام 2012 بعد تحرير مخيم اليرموك على يد الثوار السوريين والفصائل الفلسطينية المؤيدة للثورة، فقد لعبت فتح الانتفاضة دوراً مهماً في استعادة مخيم الحسينية القريب من مطار دمشق الدولي، حيث خاضت معركة اقتحام المخيم وأخرجت قوات الثورة السورية منه، و تسيطر حالياً فتح الانتفاضة على مخيمي جرمانا والحسينية بريف دمشق، وتتولى قيادة قوات الدفاع الوطني هناك. وقد تمكن الثوار في حي جوبر الدمشقي من سحب عدة جثث لعناصر هذه الميليشيات، من بينها جثة "فندي أحمد علي" أحد عناصر فتح الانتفاضة، وعُثر بحوزة المقاتل على بطاقة الحرس الجمهوري التابعة لقوات الأسد، مما يدل على الدعم والمشاركة الفاعلة لعناصر فتح الانتفاضة على العديد من جبهات القتال.

- الحزب الفلسطيني الديمقراطي - سرايا العودة والتحرير:



يترجم هذا التنظيم (مازن شقير)، وهو تنظيم سياسي مع وجود جناح عسكري يسمى "سرايا العودة والتحرير" التي تشارك النظام السوري كذلك في القتال ضد الشعب السوري، ويظهر ذلك من خلال التأييد الإعلامي والسياسي لقيادة هذا التنظيم للنظام السوري من جهة، ومن خلال نعي العديد من عناصر التنظيم الذين قتلوا في المعارك ضد الثوار السوريين، منهم "طه أحمد شرقي"، الذي قتل في منطقة السيدة زينب، و"محمود عبد الوهاب الزبيق" الذي قُتل في اشتباكات

مخيم اليرموك بتاريخ 2015/7/9، مما يدل على مدى الدعم والتأييد الذي يقدمه هذا الحزب وميليشياته خدمةً للنظام السوري في إجرامه بحق الشعب السوري.

- أحزاب وفصائل فلسطينية مؤيدة للنظام السوري سياسياً وإعلامياً:



- الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين: يرأسها "نايف حواتمة".
- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: تزعمها سابقاً "جورج حبش"، ويتزعمها اليوم "أحمد سعادات".

- حركة فتح: يتزعمها الرئيس الفلسطيني "محمود عباس".

- حركة الجهاد الإسلامي: يقودها "رمضان عبد الله شلح".



رؤية مستقبلية لوجود الميليشيات الفلسطينية في سورية:

إنّ العديد من المنظمات والأحزاب والفصائل الفلسطينية التي لها وجود أو تمثيل في سورية وقفت موقفاً مؤيداً للنظام السوري، كما أسلفنا، وشاركت عسكرياً وسياسياً وإعلامياً في دعم هذا النظام ضدّ الشعب السوري الذي انتفض مطالباً بحريته وكرامته التي لا يجب على هذه المنظمات منع هذا الشعب عن المطالبة بها ومحاربتها كونها الأكثر معاناةً من الظلم والتهجير والتدمير من أرضهم فلسطين أولاً، ومن هذا النظام الفاجر الذي أذاق الشعب الفلسطيني المهجر الكثير من الويلات والتضييق منذ أن وصل آل الأسد إلى حكم سورية. ومهما ساندت هذه الفصائل النظام السوري فلن تستطيع إنقاذه من مصيره المحتوم، وهو السقوط على يد هذا الشعب الحر، ومع سقوطه ستسقط كل الميليشيات التي ساندته، سواء كانت خارجية كالإيرانيين والافغانيين واللبنانيين والعراقيين، وكذلك هذه الميليشيات الفلسطينية، هذا من الناحية العسكرية.

أما من الناحية السياسية، فنحن ندرك أنّ أي صراع عسكري لا بدّ أن ينتهي ولو جزئياً بعمل سياسي، أو يترافق العمل العسكري مع حراك سياسي، كما نلاحظ ذلك منذ انطلاقة الثورة السورية، لذلك فإنّ أي طرح سياسي سوري - سوري، كما تروج لذلك جميع الدول، سيستثني جميع الميليشيات غير السورية، وستكون الخاسر الأكبر في تسويات وحلول الملف السوري، كونها ستصبح خارج اللعبة على طاولات التفاوض، بعدما تكون قد خسرت معظم رصيدها النضالي، ضد الصهاينة سابقاً، ورصيدها السياسي والإعلامي والشعبي والمادي والمعنوي، وحتى العسكري، نتيجة استنزاف قواها في هذا الصراع الطويل.

مع النصر أو الحل النهائي، لن يكون لهذه الميليشيات وجود على الأرض السوري، وستخرج جميع قياداتها ومعظم عناصرها من سورية إن تمكنت من الخروج، ومن يبقى سينال حسابه أمام العدالة عاجلاً أم آجلاً، وهو ما سيعني انتهاء العناصر الفلسطينية المؤيدة للنظام، كما العناصر غير الفلسطينية، سواء اللبنانية أو العراقية أو إلخ.